نحن شركاء في المسؤولية -١-

الأستاذ عصام العطار

نحن شركاءُ في المسؤولية

شركاءُ في المسؤولية عن الصورة المَنَفِّرة التي تُرسم للإسلام

يجب أن نعرفَ ذلك ونعترفَ به بأمانة وصدق وإن أخجلنا وآلمنا هذا الاعتراف ، وألاّ نَخدع أنفسَنا ونخدِّرَها ونُريحها بإلقاء مسؤولية هذه الصورة المَنَفِّرة على الأعداءِ المحاربين ، والطامعينَ المتآمرين ، وبعضِ أصحابِ العقائد والمذاهب الحاقدين ، والإعلامِ الضالِّ المُضَلِّل ، أو المضَلِّل وهو يعرف الحقيقةَ ويُضَلِّل ..

يجب أن نجابهَ أنفسَنا بشجاعة وصدق ، وأن نواجه واقعنا بشجاعة وصدق ، وأن نضع أيدِيَنا على جِراحاتنا وإن آلمتْنا الجراح ، وألاّ نهرب من أنفسِنا ومن واقعِنا بإلقاءِ التَّبِعاتِ كلِّ التبعات على الآخرين ، وإن كان كثيرٌ من هؤلاء الآخرين يحملون كثيراً من التبعات ..

إنّنا – أيها المسلمون – بواقعنا السيِّء المخزي في أكثر دولنا وبلادنا نرسُم لأنفسنا ، وللإسلامِ من خِلالِنا ، صورةً قبيحةً مُنَفّرة .. يَزيدُها حقدُ الحاقدين ، وافتراءُ المفترين ، وتضليلُ المضللين على اختلافِ عناوينهم وأساليبِهم ووسائِلهم ، قُبْحاً وتنفيرا

إنّنا في واقعنا الراهن ، رغم ما أكرمنا الله تعالى به من مواقع استراتيجية فريدة ، وثروات طبيعية وفيرة ، وتاريخٍ عريقٍ مُشرّف ، ورسالةٍ عظيمةٍ للدنيا وفي الدنيا .. إننا في واقعنا الراهن رغم ذلك كلِّه من أكثر دول العالم تَخَلُّفاً وسُوءَ حال

نحن متخلِّفونَ علميّاً

متخلِّفونَ تكنولوجياً

متخلِّفونَ فكريّاً وثقافيّاً

متخلِّفونَ عسكريّاً وسياسيّاً واجتماعيّاً وصِحِيّا ..

نحن متخلِّفون

نحن متخلِّفون

إنّ قلوبَنا لَتَتَمَزَّق وتَتَحرَّق عندما نقول هذا ، ولكن لا بدَّ لنا أن نقول

في أكثر بلادِ المسلمين لا يَزال يَرْتَعُ الاستبدادُ والظلمُ والفساد ، وتُوأَدُ الحريةُ والعدالةُ والكرامةُ وأكثرُ حقوقِ الإنسان .

في أكثرِ بلادِ المسلمين رغمَ كلّ ما ظهر في أرضها ، وهطل من سمائها ، ونَبَتَ في ترابِها ، ودخل إليها بصُوَرٍ مختلفة وأسبابٍ مختلفة من ثرواتٍ كبيرة وفيرة .. ما يزال فيها الجهلُ المظلمُ ، والمرضُ المهلِكُ ، والفقرُ الْمُدْقِع ، والمعيشةُ المتدنيّةُ التي لا تليق بإنسان أو حيوان ..

هذا الواقعُ السيّءُ الذي يُناقضُ إسلامَنا ويناقضُ ماضينَا ، ويناقضُ مطامحَنا وآمالَنا لمستقبلنا .. هذا الواقعُ السيِّءُ هو الذي يرسُم لنا – بالدرجة الأولى – الصورةَ القبيحةَ المنفِّرةَ التي يُضَخِّمُها بمختلف الدوافع والمقاصد المضخِّمون ،

ويتلاعبُ بها المتلاعبون ، ويَسْخَرُ بها منّا أشكالاً وألواناً الساخرون ، وتَتَّخِذُها – أو تتخذ بعضَها – دولٌ كُبرى ذريعةً لسلب سيادتِنا وحريَّتِنا ، وفرضِ نفوذِها وهَيْمَنَتِها ، ونهبِ أرضنا وثروتنا ، والعدوانِ خارجَ بلادِنا وداخل بلادنا على ديننا وثقافتنا ، لنكون خارج بلادنا وداخلَها كما تريدُه وترسُمه لنا في كلِّ مجالٍ من مجالاتِ الحياة ، وقد غَدَونا كما تريدُه لنا تلك القُوى والدول في كثير من الأمور ، ولن يتغيَّر ما نحن فيه من البلاء إلا إذا غيَّرنا أوّلاً ما بأنفسنا . هذا هو المنطَلَقُ وهذا هو الطريق

إذا أردنا أن تكونَ صورتُنا جميلة فيجبُ أن نجعلَ حقيقتَنا جميلةً ساطعةً ، بل رائعةَ السُّطوع والجمال ، لا يُفلحُ في الافتراءِ عليها أو تشويهها المفترون المغرضون

أمّا أن نطلب لواقعنا القبيح صورةً جميلةً فهو ضربٌ من ضروب العَبَثِ والمحال

لا بدَّ من تغييرٍ وتصحيحٍ وإصلاحٍ سِلْميٍّ فعّالٍ بَصيرٍ عميق في بلادِ المسلمين ، وحياةِ المسلمين ، ليكونوا أكثر انسجاماً مع دينهم وحاجاتهم ومطامحهم وآمالهم ، وليكون لهم مكانُهم واحترامُهم ودورُهم الحميدُ المؤثِّر في عالمهم وعصرهم

الإسلام والعنف والإرهاب

إنّنا نتألّم ونشتكي من اقترانِ الإسلام بالعنف والإرهاب عند كثير من الغربيين هذه الأيام ، وما ينتج عن ذلك من سوء ظن ، أو سوء معاملة رسمية أو إعلامية للمسلمين ، والإسلامُ بريءٌ كلَّ البراءةِ من العنف والإرهاب

ولكنَّ أفراداً من المسلمين مع ذلك .. أفراداً جاهلين كلَّ الجهل بحقائقِ الإسلام ، وتعاليمِ الإسلام ، قد قاموا في الغرب بالفعل باسم الإسلام بأعمالٍ

إرهابيةٍ فظيعة ، كما حصل في مدريد ولندن على سبيل المثال ، وذهب ضحيتها مئات ومئات من القتلى أو الجرحى الأبرياء

وإذا كان هنالك مستغلّون ماكرون من أعداء الإسلام والمسلمين يستغلّون أمثالَ هذه الحوادث للإساءة للإسلام وتشويه صورته ، فهنالك – ولا ريب – ناس طيّبون عاديّون ، أو حياديّون ليس في قلوبهم في الأصل حقدٌ ولا كرهٌ وليس لهم موقفٌ مُسْبَقٌ من الإسلام ، يقترن الآن في تفكيرهم أو في شعورهم أو لا شعورهم ، من وراء هذه الحوادث والجرائم الإرهابية المروِّعةِ البشعة ، الإسلامُ بالإرهاب ، والإرهابُ بالإسلام ، فإذا كان بعضهم سياسيّاً أو صحفياً أو فناناً – على سبيل المثال – انعكس ما في فكره أو في شعوره أو لا شعوره أحياناً – بقصد أو دون قصد – على موقفه وعمله وفنه ، فربط فيه بشكل من الأشكال بين الإسلام وبين الجريمة والإرهاب

وأمرٌ آخر يساعد على تفسير كثير مما نراه من جرأة على الإسلام والمسلمين ، واستهانة بالإسلام والمسلمين ، وعدوان على الإسلام والمسلمين بالحقّ والباطل ، من أيٍّ كان من الأقوياء أو الضعفاء ، ومن العلماء أو الجهلاء ، ومن الصالحين أو الطالحين ، والمتقدّمين أو المتأخرين ، بسبب أو دون سبب من الأسباب .. أمرٌ يُذَكِّرُ به أبلغَ تذكير ، ويُوَضِّحه أحسن توضيح المثلُ الشاميُّ المعروف : « الحيط الواطي يركبه أيٌّ كان »

وحائطُ المسلمين الآن – واحَسْرَتاه! واخَجْلَتاه – حائطٌ مُنْخَفِضٌ منخفض ، يَركبُه كلٌّ من شاء من الأعداء والأصدقاء ، والعقلاء والسفهاء !! ونحنُ نحنُ أوّلُ المسؤولين عن هذه الحقيقة المرّة والواقع الرديء.